السنة الخامسة والعشرون من مولده ﷺ(١)

قالت نَفيسةُ بنت مُنْية أخت يعلى بن مُنْية: لما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة، قال له أبو طالب: يا ابن أخي، أنا رجل لا مال لي، وقد اشتد علينا الزمان، وهذه عِيْر قومك قد حضر خروجُها، وهذه خديجة بنت خُويلد تبعث رجالاً من قومك، فلو أتيتها فتعرضت لها، لأسرعت إليك.

وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه إياه، فبعثت إليه وقالت: أنا أعطيك ضِعْفَيْ ما أعطي رجلاً من قومك، فقال له أبو طالب: هذا رزق ساقه الله إليك.

فخرج مع مَيْسرةَ غلامِ خديجة رضي الله عنها، فقدما بُصرى من الشام، فنزلا في ظل شجرة هناك، فرآه نَسْطُور الراهب، فدعا مَيْسرَة فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبيٌّ، ثم قال لمَيْسرة: أفي عيني صاحبك حُمْرة؟ قال: نعم. فقال: لا تفارقه، فهو نبيٌّ، وهو آخر الأنبياء(٢). ثم إنَّه باع ما كان معه من المتاع، فوقع بينه وبين رجل تلاحٍ في سلعة، فقال له الرجل: احْلِف باللَّات والعزَّى، فقال رسول الله ﷺ: والله ما حلفتُ بهما قط، وإنِّي لأَمرُّ بِهما، فأعرض عنهما. فقال الرجل: القول قولك، ثم قال لميسرة: هذا والله نبيٌّ نجده في كتبنا منعوتاً. وكان ميسرة إذا اشتد الحرُّ رأى مَلكين يُظلَّان رسول الله ﷺ من الشمس، فصار كأنه عبد له، وألقى الله عليه حبَّ رسول الله ﷺ، ثم إنهم باعوا وربحوا ضِعفَيْ ما كانوا يربحونه، وعادوا إلى مكة، واتفق دخولهم إليها في وقت الهاجرة، وخديجة رضي الله عنها في عِلِّيةٍ لها، فرأت مَلَكَيْن يظلان رسول الله ﷺ وهو على بعيره، فأرته نساءها فعجبن، ودخل عليها مَيْسرَة فأخبرها بما ربحوا، وحدثها بما رأى وبما قال نَسْطُور الراهب، فسرت بذلك، وأضعفت له ما كانت سَمَّته له(٣).

---

(١) جاء العنوان في (خ): «ذكر تزويجه ﷺ خديجة رضي الله عنها».

(٢) هكذا هي العبارة في النسخ، وفي «الطبقات» ١/ ١٠٨: «أفي عينيه حمرة؟ قال: نعم لا تفارقه، قال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء.

(٣) انظر «سيرة ابن هشام» ١/ ١٧١، و«الطبقات الكبرى» ١/ ١٠٧-١٠٩، و«المنتظم» ٢/ ٣١٣-٣١٤، و«الاكتفاء» ١/ ١٩٥، وقال الذهبي في «السيرة» ١/ ٦٢: هو حديث منكر.

ذكر تزويجه ﷺ بخديجة رضي الله عنها [١]:

قالت نَفِيسَةُ بنت مُنْيَةَ: كانت خديجة بنت خُويلد بن أَسد بن عبدالعزى بن قصي امرأةً حازمةً جَلْدةً شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخَير، وهي أوسطُ قريش نسباً، وأعظمهم شَرَفاً وأكثرهم مالاً، وكل قومها حريصٌ على نكاحها لو قدروا على ذلك، وبذلوا لها الأموال، فلم تُجِب.

قالت نَفِيسةُ: فأرسلتني خديجة إلى النبي ﷺ لما رجع من الشام دسيساً، فقلت له: يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدي شيء أتزوج به. قلت: فإن كفيتُكَ ذلك، ودُعِيتَ إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة، أتجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ فقلت: علي. قال: فأنا أفعل ذلك، فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه: أنِ ائتِ في ساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها منه فحضر، وأقبل رسول الله ﷺ في عمومته فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة[٢].

وذكر ابن إسحاق: أنَّ حمزة رضي الله عنه هو الذي خطب خديجة لرسول الله ﷺ من عمها عمرو[٣].

وذكر بعض العلماء: أن أبا طالب حضر العَقْد ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر، فخطب وقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرعِ إسماعيل، وضِئْضِئ مَعَدٍّ، وعُنصر مُضر، وجعلنا حَضَنَةَ بيته، وسُوَّاسَ حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكَّام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل إلا رجح به، وإن كان في المال قُلّ، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد مَن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنتَ خُويلدٍ، وبَذَل لها من الصداق ما آجله وعاجله من ماله، وهو والله له بعد هذا نبأ عظيم، وخطب جليل. فتزوجها رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) جاء في (خ): «السنة الخامسة والعشرون من مولده ﷺ». وما أثبتنا في هذا العنوان والذي قبله من (ك)، وهو موافق لما في «المنتظم» ٢/ ٣١٣ ، وانظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٠٧-١٠٩ .

(٢) انظر «الطبقات الكبرى» ١/ ١٠٩ ، و«المنتظم» ٢/ ٣١٤-٣١٥ .

(٣) «سيرة ابن هشام» ١/ ١٧٤ ، و«أنساب الأشراف» ١/ ١١١ .

(٤) انظر «المنتظم» ٢/ ٣١٥ .

وقال ابن سعد: إن أبا طالب ذكر ثلاثين بكرة، واثنتي عشرة أوقية.

ولم يتجدد من سنة ست وعشرين إلى سنة إحدى وثلاثين ما يستطرف.

* * *

السنة الثانية والثلاثون من مولده ﷺ

فيها قتلت الروم ملكها موريق لظلمه وفساده، وكان له ولد اسمه: موق[١]، فهرب إلى كسرى مستصرخاً به، فأنجده كسرى أبرويز بثلاثة من مرازبته: ريمون[٢]، وشاهين، وفُرُّخان، فساروا في جيوش عظيمة.

فأما ريمون فدوَّخ بلاد الشام، ونزل على القدس فطلب من الأساقفة صليب الصَّلَبوت، وهدَّدهم ـ وكانوا قد دفنوه في تابوت من ذهب في مَبْقَلة ـ فخافوا منه القتل[٣]، فاستخرجوه وناولوه إليه، فبعث به إلى كسرى[٤].

وأما فُرُّخان فإنه سار حتى أناخ على خليج القُسْطَنْطينية، فدوّخ البلاد، وقتل وسبى، فلم يستقم لابن موريق أمر، لأن الروم ملكوا عليهم رجلاً صالحاً يقال له: هِرَقْل. فلما رأى ما الرومُ فيه، سأل الله أن ينقذهم من الفرس، فرأى في المنام رجلاً ضخماً في عنقه سلسلة، وآخر يقوده ويقول: هذا كسرى قد دفعناه إليك. فخرج بالجيوش، فانهزم بين يديه فُرُّخان وجنود فارس، وسار حتى أناخ على مدائن كسرى، فحصر كسرى فيها، ودوخ البلاد فقتل وسبى، ولم يكن لكسرى به طاقة، فأقام مدة وعاد إلى الروم سالماً غانماً.

ولم يتجدد في السنة الثالثة والرابعة والثلاثين ما نذكره.

* * *

(١) في «المنتظم» ٢/ ٣١٧ : «فوقا» ، وفي الطبري ٢/ ١٨١ : قوفا.

(٢) في الطبري و «المنتظم»: «رميوزان».

(٣) في (خ): «فخافوا على أنفسهم منه».

(٤) وجاء بعدها في «المنتظم»: وأما القائد الآخر، وكان يقال له: شاهين، فسار حتى احتوى على مصر والإسكندرية وبلاد النوبة، وبعث إلى كسرى بمفاتيح مدينة الإسكندرية.